جمهورية مصر العربية	٢٣ من رمضان ١٤٣٩هـ□
وزارة الأوقاف	٨ من يونيــو ٢٠١٨م

(١)

فضائل العشر وليلة القدر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، **وبعــد**:

فمما لا شك فيه أن رمضان شهر أعز الله تعالى شأنه ، ورفع قدره من بين الشهور ، وشرفه حين أنزل فيه القرآن الكريم ، وذكره باسمه دون غيره من بقية الشهور ، فقال تعالى:{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}.

وقد اقتضت حكمة الله (عز وجل) أن جعل العشر الأواخر من شهر رمضان فرصة للمحسن أن يتزود فيها من الخيرات ، وللمقصر أن يستدرك ما فات ، فهي أيام مليئة بالنفحات الإلهية والعطايا الربانية التي امتن الله (عز وجل) بها على عباده الأتقياء ، فحريٌّ بكلِّ مسلم أن يغتنم ليلها ، وأن يستثمر نهارها ، فهي موسم للطاعات والخيرات ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ؛ لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا)؛ لذا كان النبيّ (صلى الله عليه وسلم) يخص العشر الأواخر من رمضان بمزيد من العبادة والطاعة ، والإقبال على الله (عز وجل).

ومن الأمور التي يجب أن نحرص عليها في إحيـاء العشــر الأواخر من رمضــان:

إحياء الليل بالعبادة والطاعة ، اقتداء بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه الكرام ، في قيام الليل ، والذكر ، والاستغفار ، وقراءة القرآن ومدارسته ، والصدقات ، وفعل الخيرات ، والسعي في قضاء حوائج الناس ، والتعاون على البرّ والتقوى ... وغير ذلك من أعمال الخير والصلة ، فقد كان النبيّ (صلى الله عليه وسلم) يجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها من الأيام ، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : (كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا دخل العشرُ شدَّ مئزرَه ، وأحيَا ليله ، وأيقظَ أهلَه) ، ومعنى شد المئزر : أي اجتهد في العبادة وبذل وسعه فيها ، وقيل : كناية عن اعتزال النساء ، وفي رواية قالت : " كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يجتهدُ في العشرِ الأواخرِ من رمضانَ ما لا يجتهدُ في غيرِه ".

وقيام الليل وبخاصة في هذه العشر الأخيرة من رمضان من أرجى أبواب القبول عند الله (عز وجل) ، وقد أشار الحق سبحانه وتعالى إلى عباده المتقين ، وحالهم في قيام الليل ، فقال سبحانه : {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}، كما أن قيام الليل والتهجد والوقوف بين يدي الله سبحانه هو دأب المؤمنين الصالحين ، وهذا ما بينه ربنا (عز وجل) في قوله : { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }، ويقول تعالى : {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ الأَلْبَابِ}.

ومنها : حث الأهل على الاجتهاد في العبادة والطاعة في هذه الأيام المباركة ، لأن الإنسان مسئول عن أهله ، انطلاقا من قوله (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وكلُّكم مسئولٌ عن رَعِيَّتِه ، فالإمامُ راعٍ ، وهو مسئولٌ عن رعيَّتِه ، والرَّجُل في أَهلِهِ راعٍ، وهو مسئولٌ عن رعيَّتِه ...) ، وقد كان النبيّ (صلى الله عليه وسلم) كثيرًا ما يوقظ أمهات المؤمنين للعبادة والطاعة ، فعن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: استيقظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة فزعًا ، يقول: (سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الخَزَائِنِ ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ ـ يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّين ـ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ).

وعلى هذا المنهج سار الصحابة (رضوان الله عليهم) ، وسلفنا الصّالح ، فكانوا يجتهدون في العشر الأواخر من رمضان تَقَرُّبًا إلى الله (عز وجل) ، وأسوة برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فهذا عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه) : كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَيْقَظَ أَهْلَهُ لِلصَّلاَةِ ، يَقُولُ لَهُم : الصَّلاَةَ! الصَّلاَةَ!، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الآيَةَ:{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}.

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، ورَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ).

ومنها : الاجتهاد في الدعاء : وقد أرشدنا إلى ذلك قول الله تعالى في ثنايا آيات الصيام: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) أرشد إلى ذلك أيضًا ، حيث قال: (ثَلاَثٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ ، الإِمَامُ العَادِلُ ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الغَمَامِ ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ) .

وإذا كان الدعاء في شهر رمضان مستحبًّا فهو في العشر الأواخر منه أشدُّ استحبابًا لعله يقع في ليلة القدر ، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا قَالَ: (قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي).

ومن أهمها : التكافل والتراحم وإغناء الفقراء والمساكين في هذه الأيام ، سواء بإخراج الزكاة ، أم بالإكثار من الصدقات ، أم بالمبادرة إلى إخراج زكاة الفطر والتوسعة فيها على المحتاجين ، ومعلوم أن من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه ، حتى يشعر الأغنياء بالفقراء ، ويجعلون لهم مما أفاض الله عليهم من الخير نصيبا ، فتسود بينهم المحبة والمودة ، ويكون المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى).

فرمضان هو شهر التكافل والتراحم ، شهر تتجسد فيه معنى الرحمة والرأفة بالفقراء والمساكين ، واليتامى والمحتاجين ، والعملِ على إطعام الجائعين ، وإفطار

الصائمين ، وقد حثَّنا ديننا الحنيف على التضحية والبذل والعطاء في سبيل إسعاد الآخرين وإدخال السرور على قلوبهم ومساعدتهم ، يقول نبينا (صلّى الله عليه وسلم) حين سئل : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ، وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ فَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ ... وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثَبِّتَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

إخوة الإسلام :

إذا كانت العشر الأواخر من رمضان أيامًا عظيمةً امتن الله تعالى بها على عباده بأن أعطاها نفحات ربانية ، حيث تتضاعف فيها الحسنات ، ويعظم فيها الأجر والثواب، ويغفر الله تعالى فيها الذنوب والسيئات ، فقد جعل الله تبارك وتعالى فيها ليلة من أعظم الليالي وأفضلها وهي القدر ، اختص الله (عز وجل) بها الأمة المحمدية عن سائر الأمم إكراما من الله (عز وجل) لأمة حبيبه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حتى تكثر حسناتها ، وترتفع

درجاتها ، فعبادتها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، فعن مُجَاهِدٍ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبِسَ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَلْفَ شَهْرٍ ، قَالَ: فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ }، فعبادة هذه الليلة بإخلاص تفوق حمل السلاح ألف شهر في سبيل الله .

وسميت ليلة القدر بهذا الاسم لعلو شأنها ، وعظم قدرها ، وفضلها عند الله (عز وجل) ، ففيها أنزل الله كتابًا ذا قدر ، على نبي ذي قدر ، بواسطة ملك ذي قدر ، على أمة ذات قدر ، وقيل : لأنَّ العمل فيها له قدرٌ عظيمٌ ، وقيل: لكثرة الملائكة النازلة فيها ، ونزول الملائكة كله خير وبركة، ففي الحديث : (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى) .

وقد جعل الله قيامها سببًا لمغفرة الذنوب ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) ، ومن ثم فعلى المسلم أن يحرص على إحياء هذه الليلة العظيمة، ويستثمرها في طاعة الله (عز وجل) .

وقد أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بتحري هذه الليلة في الوتر من العشر الأواخر ، لما فيها من العطاء والكرم الالهي ، حيث قال : (تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ) ، وفي رواية : (التَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ – لَيْلَةَ القَدْرِ– فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى ، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى ، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى).

وقد أخفى الله (عز وجل) ليلة القدر ، ولم يحددها بليلة محددة ، ليجتهد العباد

في طلبها والتماسها ، لعل العبد أن يصيبها ، بخلاف مالو عينت وعلمها الناس لاقتصروا عليها في العبادة دون غيرها ، ولهذا كان من سُنةّ النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) الاجتهاد في العبادة والطاعة في تلك العشر ، وبذل الوسع في تحري تلك الليلة الفاضلة – ليلة القدر – التي هي خيرٌ من ألف شهر ، فينقطع الإنسان عن كل الخلائق ، مشتغلاً بقيامها وإحيائها بالذكر ، والتلاوة ، والدعاء ، ويتخلى عن جميع ما يشغله ، ويعكف بقلبه على ربه وما يقربه منه ، طلبًا لفضله وثوابه ، وإدراكًا لليلة القدر ، فيا لها من ليلة عظيمة يخرج منها المؤمن طاهرًا من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

فلنحرص على أن نغتنم هذه الأيام بالذكر والدعاء ، وتلاوة القرآن ، وكل ما يقربنا إلى الله (عز وجل) ، حتى لا نكون من المحرومين من رحمات الله تعالى في هذه الليلة ، فإن الحرمان في هذه الليلة هو الحرمان الحقيقي ، يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (...لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ..).

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا الصيام والقيام ، وأن يبلغنا ليلة القدر وأن يجعلنا من عتقائه من النار ومن المقبولين